٧- سيمفونية لا تغيب

(أبوبكر خيرت)

أكثر من خمسين عامًا مرت على رحيل عبقرية جمعت بين الهندسة والموسيقى و كلاهما يحتاج لدراسة و جهد و بحث

إنه المهندس و الموسيقار أبو بكر خيرت أول عربي يؤلف سيمفونية .. ولد أبوبكر خيرت في السابع والعشرين من شهر إبريل عام ١٩١٠، و منذ طفولته المبكرة حرص والده المحامي و الأديب محمود خيرت على تعليمه الموسيقى ، وفي سن السابعة ظهرت موهبته الموسيقية فاهتم بها والده المثقف المحب للفن و أحضر له الأستاذ التركي (أحمد دادة) ليدرس له العزف على الكمان ليشترك أبو بكر خيرت و عمره سبعة أعوام في حفلة أقامها نادى التجارة العليا و قام بعزف مقطوعة على الكمان بمصاحبة أستاذه التركي أحمد دادة الذي كان يعزف هو الآخر على الكمان فكانا يكونان

معًا (دويتو شرقي) و كان سعد باشا زغلول حاضرًا هذه الحفلة و عندما بدأ أبوبكر وأستاذه العزف لاحظ سعد باشا فرق السن بينهما ، فأمر بإيقاف العزف و إخراج الأستاذ (أحمد دادة) من المسرح ثم قال ضاحكًا للطفل أبي بكر خيرت (ورينا بقى شطارتك لوحدك) ضجت القاعة بالضحك ، وشعر أبوبكر الصغير بالحرج والخوف ، و لكنه الخوف الذي دفعه للتحدي و منحه شجاعة المواجهة فعزف بمفرده و نال استحسان الجميع و عندما انتهى من العزف استدعاه سعد باشا زغلول و هنأه و سط تصفيق الحضور، وكان لهذا اليوم أكبر الأثر في حياته الفنية والشخصية، عشق أبوبكر خيرت الموسيقى و تنوع اهتمامه بها فكان يستمع لأسطوانات لمشاهير مؤلفي البيانو مثل موزارت وبيتهوفن، أحب أبوبكر خيرت البيانو و في سن العاشرة درس البيانو على يد اليوناني الأستاذ (كوستاكس) أعظم أساتذة فن الموسيقى في ذلك الوقت واستمر يدرس لمدة عشر سنوات، من ملامح طفولة أبي بكر خيرت أيضًا علاقته بفنان الشعب الموسيقار سيد درويش ، ففي يوم من الأيام عندما كان أبوبكر في الثالثة عشرة من عمره و قبل وفاة الشيخ سيد درويش بأيام قليلة، مر الشيخ سيد درويش بمنزل صديقه المحامي محمود

خيرت فوجد ابنه أبو بكر يعزف على البيانو مقطوعة لبيتهوفن نالت إعجاب الشيخ سيد درويش ، فلما انتهى أبوبكر من العزف وضع الشيخ سيد درويش يده على كتف أبي بكر، و شجعه قائلاً في إعجاب

(استمر في طريقك فهذا هو الطريق الذي كان ينبغي أن أسلكه، كما كنت أود لو أتيحت لي الفرصة التي تتاح لك اليوم فكنوز موسيقى الغرب لا يتأتى دراستها أو فهمها إلا بعد تعب شديد ومجهود متواصل)

و لأنه أحب موسيقى سيد درويش و تفتحت مواهبه على أنغامها ، قام أبو بكر خيرت بوضع أول معزوفة للبيانو ، أسماها لحن (إيه العبارة) للشيخ سيد درويش و كتب على غلافها هذه العبارة (هذه الأغنية الشعبية كان يغنيها سيد درويش لوالدي عندما كنت أبلغ من العمر اثني عشرة عامًا وقد حولتها لمقطوعة منذ ذلك التاريخ عام ١٩٢٢)

لم يمنعه حبه للموسيقى من التفوق في الهندسة ليصبح في عام ١٩٣٠ أول دفعته في مدرسة المهندسخانة قسم العمارة بتقدير امتياز ثم يسافر إلى فرنسا في بعثة لمدرسة الفنون الجميلة العليا في باريس فكانت فرصة طيبة لمواصلة دراسته الموسيقية إلى جانب دراسة الهندسة و

التي حصل فيها على المركز الأول بامتياز و على دبلوم الدولة من باريس عام ١٩٣٥ ، و يعود لوطنه بشهادته و بالبيانو الذي اشتراه بكل ما ادخره ، في عام ١٩٣٥ تم تعيين المهندس أبي بكر خيرت مهندسًا بمصلحة المباني الأميرية بوزارة الأشغال و ما تزال بصماته على الحجر خير شاهد علي إبداعه في تصميماته الهندسية الحكومية أو الحرة مثل تصميم البنك الزراعي و معمل المستحضرات الحيوية و مبنى شركة موبيل أويل على كورنيش النيل و مستشفى الكاتب بالدقي و المدينة الجامعية التابعة لجامعة القاهرة ، بالإضافة لمباني معاهد أكاديمية الفنون و قاعة سيد درويش بالهرم .

و يعد الموسيقار أبو بكر خيرت أول عربي يؤلف سيمفونيات هو أيضا أول من مزج الأدب بالشعر بالموسيقى، إذ استوحى من رواية إيزيس للكاتب الكبير توفيق الحكيم افتتاحية إيزيس التي كتبها في أكتوبر عام ١٩٥٦.. ، كما ألف السيمفونية الثالثة التي كتبها في إبريل عام ١٩٥٨ بعد زيارة لموسكو و أطلق عليها (سيمفونية موسكو)

حصل المهندس و الموسيقار أبو بكر خيرت على جائزة الدولة التشجيعية في التأليف الموسيقي عن المتتالية الشعبية التي ألفها عام ١٩٥٩ و تتكون

المتتالية الشعبية من سبعة أجزاء و هي من أهم أعماله إذ أنها تعطي فكرة و صورة شاملة عن الفن المصري الشعبي الأصيل ويمكن أن يتم عزفها في أي بلد بأي أوركسترا سيمفوني .

تشرق شمس يوم الثاني و العشرين من أغسطس **١٩٥٨** و يصدر القرار الجمهوري بإنشاء المعهد القومي العالي للموسيقى (الكونسرفتوار) ليسند د. ثروت عكاشة وزير الثقافة و الإرشاد القومي وقتذاك ، عمادة المعهد للمهندس والموسيقار أبي بكر خيرت فيضع التصميم الهندسي لمعهد الكونسرفتوار الذي احتضن العديد من المواهب لمعت في سماء الأنغام ..

وفي الخامس و العشرين من شهر أكتوبر عام **١٩٦٣** ، رحل العبقري أبو بكر خيرت و ما يزال كل ركن في صرحه العظيم الكونسرفتوار يحمل بصمتة التي جمعت بين العلم والفن ، بين أدوات الهندسة وأصابع البيانو ..